

جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بابل

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية

المادة/ البلاغة علم المعاني

المرحلة: الثانية بكالوريوس

ستاذ المادة: أ.د. فرحان بدري

٤/ المحاضرة الخامسة : بلاغة علم المعاني، نظرية النظم بعد الجرجاني

نظرية النظم بعد الجرجاني

• جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ابو القاسم محمود بن عمر: كتابه في التفسير: (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل). كان يعتقد ن تفسير القرآن الكريم لا يتم الا عن طريق علمي المعاني والبيان، وقد استطاع ان يفرق بين مصطلحي الفصاحة والبلاغة ولم يكن الجرجاني ليفرق بينهما، واستطاع الزمخشري ان يميز بين علمي المعاني والبيان وكان عبد القاهر الجرجاني يسمي الاول علم النظم او الاسلوب وكأن الزمخشري اراد ان يخرج من الخلاف القائم بين المعتزلة والاشاعرة وسماه علم المعاني.

وقد مال الزمخشري في آرائه البلاغية الى الاخذ باتجاه اصحاب المعاني عامة، ويعرض في تفسيره للاسلوب من جهة نظر عبد القاهر الجرجاني مع التركيز على طرق التعبير وعلاقات النظم، وصلات الالفاظ النحوية.

اعجاز القرآن: بين الجرجاني ان القرآن الكريم معجز بنظمه، ونفى وجوه الاعجاز الاخرى اما الزمخشري فيرى اعجاز القرآن من جهتين فهو معجز بنظمه ومعجز بما فيه من الاخبار بالغيب ولهذا نجده يقول عن الاية الكريمة (فعلموا انما أنزل بعلم الله) أي انزل ملتبساً بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لاسبيل لعلم اليه.

وهكذا فالزمخشري يضيف شيئاً جديداً يبين فيه اعجاز القرآن، فهو يأخذ برأي الجرجاني من حيث ان القرآن الكريم معجز بنظمه لكنه حيث عرض لنظم القرآن عرض اليه من ناحية الجمال الحادث عن احكام معاني النحو، وكان يتناول موضوعات النظم التي جاءت عند الجرجاني ومنها التقديم والتأخير. ومما اضافه الى دراسة علم المعاني ((التقديم والتأخير وما يتصل به من تعريف المسند اليه

وتنكيره، وتقييد الفعل بالشرط بعد اذا وان ولو ومواقعها في التعبير، والقصر والمعاني المجازية لاساليب الانشاء)).

لقد استوعب الزمخشري كل ما كتبه عبد القاهر الجرجاني في كتابيه ((دلائل الاعجاز)) و (اسرار البلاغة) وحاول ان يطبق ذلك على آي القرن الكريم،

فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)

صاحب كتاب (نهاية الايجاز في دراية الاعجاز) وكتابه هذا تلخيص لكتابي (اسرار البلاغة) و (دلائل الاعجاز) لعبد القاهر الجرجاني، ونجد الرازي يرتب كتابه في مقدمة وجملتين ويتحدث في المقدمة عن اعجاز القرآن وشرف الفصاحة، أما الجملتان ففي الاولى بحث المفردات والثانية في النظم.

لعل نظرية النظم من اهم التطبيقات البلاغية عند الرازي في تفسيره الكبير، فهو يرى ان القرآن معجز بفصاحة الفاظه وشرف معانية فضلاً من نظمه، يرى ان من قالوا ان القرآن معجز باسلوبه ارادوا النظم بعينه كما يرى ان الفصاحة ليست راجعة الى الالفاظ بل انها تعود الى المعاني، وفي هذا يستمد الرازي رأيه من الجرجاني

يرى ان وحدة النظم في القرآن الكريم تكون بالترابط التام بين الآيات والسور: كان النظم عند الجرجاني هو تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض نجد الرازي يطبق هذا على آيات القرآن الكريم وسوره فالرازي لم يقف عند نظم الآيات وترابطها في السورة الواحدة، بل تجاوز ذلك، ولاحظ الترابط في بعض السور وارتباطها بالسور التي تليها

. الرازي يتابع الجرجاني في القول النظم يكون بتوخي معاني النحو ويطبقه في تفسيره، لموضع التقديم والتأخير والحذف والاضمار وتقدير المضمرة في سبيل بيان الوجه الذي يستقيم فيه بناء الآية^(١).

(١) ينظر: الرازي بلاغياً: ٢٤٣.

- **النظم والسراقات: ومن خلال نظرية النظم ينفذ الرازي الى نظرية نقدية هي قضية السرقات الادبية فيقول (ولا يغرنك قول الناس ان الشاعر اخذ المعنى من شاعر آخر فان هذا لتسامح منهم، والمرادفات للمعنى المدلول عليه بالدلالة المعنوية واحد، فأما ان يكون المدلول عليه بالدلالة الوضعية واحد فذلك لا يكون الا الترجمة))^(٢).**

الصورة البلاغية عائدة الى النظم وليس لمجرد الاستعارة

- **يذكر اقسام النظم: الرازي ذكر منها ثلاثة وعشرين وجهاً، ويستمد هذه الوجوه وامثلتها من (حدائق السحر في دقائق الشعر) للوطواط ومنها: المطابقة والمزاوجة بين معنيين في الشرط والجزاء والاعتراض، والانتفات، والاقتباس والتلميح، والتورية، والمبالغة، وحسن التعليل وغيرها))^(٣).**

وهكذا يبدو ان الرازي قد لخص كتابي الجرجاني (دلائل الاعجاز) و(اسرار البلاغة) واستفاد من كتاب الوطواط والزمخشري وما كتب الرماني في رسالة (النكت في اعجاز القرآن)

• **النظم بعد الجرجاني**

• **السكاكي/ مفتاح العلوم**

تكلم على اقسام المعاني ويبدوها بأسلوب الخبر والانشاء، وعالج قضية الصدق والكذب في الخبر والانكار وغيره في الطلب، كما يحدثك عن الاسناد واركانه وقد تأثر براي عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز فقسم المعاني حسب ركني الجملة، المسند اليه والمسند وعلى هذا الاساس نجد السكاكي عند ذكر التقديم مثلاً في المسند اليه مرة، وفي المسند مرة اخرى

- **السكاكي : ثالث علماء البلاغة في القرن السادس الهجري، الف كتابه مفتاح العلوم في علوم البلاغة الثلاثة دون ربطها بموضوع اعجاز القرآن وصنفه في اثني عشر عاماً، قال ياقوت: احسنت فيه كل الاحسان.**

^(٢)نهاية الايجاز: ١٠٩.

^(٣)ينظر: البلاغة تاريخ وتطور: ٢٨٢-٢٨٣.

كان السكاكي اول من اطلق مصطلح (علم المعاني) على الموضوعات التي سماها عبد القاهر الجرجاني في النظم او معاني النحو، فهو اول من قسم البلاغة الى معانٍ وبيان ومحسنات، ويقرر السكاكي ان كلام العرب قسمان: **الخبر والطلب**، ولذلك قسم المعاني الى قوانين: مايتعلق بالخبر ومايتصل بالطلب.

وقد تأثر في تقسيمه (علم المعاني) وتبويبه بالمنطق، وخلط في حديثه عن الخبر موضوعات كثيرة لاتخص الخبر وحده وانما هي مشتركة بينه وبين الطلب. ولم يكن السكاكي موفقاً في منهجه هذا الذي بناه على المنطق وحده

• ابن الاثير ٥٥٨-٦٣٧هـ

كان ابن الاثير في كتابه **المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر** متأثراً بعبد القاهر الجرجاني في قضية اللفظ والمعنى. ومع اهتمامه بالمعاني فإننا نجده يدعو الى الاهتمام بالالفاظ كذلك فدعا الى التلاؤم بين الالفاظ والمعاني، فكان ابن الاثير يشبه المعاني بالروح والالفاظ بالجسد.

فصاحة الالفاظ : كان الجرجاني يرجع الفصاحة الى النظم لا الى الالفاظ ولا الى المعاني منفصلين، ولكننا نجد ابن الاثير يدافع عن الخصائص المستقلة والمنفصلة لكل من الالفاظ والمعاني، ويذكر خصائص متعددة اذا توافرت في الكلمة اصبحت فصيحة، ومنها ان تكون متناسبة المخارج وخالية من الغرابة او الحوشية، وان تكون مألوفة سهلة، وان تتفق معاني الالفاظ مع اصواتها وتراكيبها، و الفصاحة عنده هي الظهور والبيان لا الغموض والخفاء.

ويظهر من هذا ان ابن الاثير يرى ان الفصاحة تكون في الالفاظ المفردة اذا تحققت الشروط التي ذكرها، وهو بذلك يرد على من قال: (ان في القرآن الكريم آيات لاتفهم الا بالتفسير، فقال: هو ان مفرداتها فصيحة، وعدم الفهم جاء من تراكيبها فاحتاجت الى التفسير، وبهذا يخالف الجرجاني الذي تحدث عن فساد الذوق بالكلام لمن قالوا إن الفصاحة للفظ بدليل ان لفظة تكون فصيحة في موضع غير فصيحة في غيره كلفظ (تؤذي) الذي اتصف بالقبح في قول الشاعر:

تلذ له المروعة وهي تؤذي ومن يعشق يلذ له الغرام
والمسند في موضعه من الآية الكريمة (ان نكلم كان يؤذي النبي فيستحي منكم).
وقال الجرجاني ان فصاحة اللفظ بحسب معناه لا لحروفه. فكأن ابن الاثير اراد ان
يبعد الشبهة عن فصاحة بعض الآيات فاثبتها للمفردات، ولكنه بتعليه هذا هرب
من شيء ووقع في شيء آخر ولا يصح ان يكون ذلك سبباً ليغير ابن الاثير
حقائق الاشياء فوصف الالفاظ المفردة بالفصاحة وهي لاقيمة لها الا مركبة في
عبارات.

• حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)

كتابه منهاج البلغاء وسراج الادباء تحدث عن نظم الشعر، وحاجته الى
الطبع والدرية بعد وجود المهيئات والادوات والبواعث وأشار الى ان الالفاظ ترتبط
بالمعاني وفي هذا يقول: وان يكون اللفظ طبقاً للمعنى، وان تكون العبارة جارية
من جميع انحائها على أوضح مناهج البيان والفصاحة.

لقد تجاوز حازم في نظريته الشعرية مفهوم (النظم) عند الجرجاني ، **فتحدث عن**
النظم بمعناه الواسع، ولم يقصره على صورة السياق التأليفي بل تخطاه الى مراحل
اخرى فهو قد اقر أن النظم يتناول سياق الالفاظ، ولكنه اوجد الى جانبه الاسلوب
ليتناول سياق المعاني، وفي توافر النظم والاسلوب المترع لدى حازم يكون قد
تخطى نظرية الجرجاني.

• النظم والإعجاز

• يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٢٥هـ)

صاحب كتاب (الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز) وهو من
علماء القرن الثامن الهجري اذ وقف على مجموع كتب البلاغة والادب السابقة
مثل كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري ومانقل من دلائل الإعجاز و (اسرار
البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني في تصانيف المؤلفين وغيره كثير.

وقد تأثر بقول عبد القاهر: بتبعية الالفاظ للمعاني وهو لايعني الترجيح لان احد
الامرین لايقوم إلا بالآخر

والفصاحة عنده تكون في الالفاظ والمعاني معاً، ولا انفصال بينهما، فهي صفة مشتركة بينهما. اذ يقول ((يخطئ من قصر الفصاحة على اللفظ ويخطئ من قصرها على المعنى، ويخطئ من فصل اللفظ والمعنى)).

وقف العلوي في نظرية النظم بعد الجرجاني عند قضية اعجاز القرآن الكريم، ويحاول العلوي ان يستعرض الاراء والمذاهب في هذه القضية : ومنها القول بالصرفة وهو رأي النظام ومن تبعه، وقول من زعم ان الوجه في اعجازه انما هو الاسلوب وتقريره ان اسلوبه مخالف لسائر الاساليب الواقعة في الكلام، وقول من زعم ان وجه اعجازه انما هو خلوه عن المناقضة، وقول من زعم ان الوجه في الاعجاز انما هو اشتماله على الحقائق وتضمنه للاسرار والدقائق التي لاتزال غضة طرية على وجه الدهر، ماتزال له غاية بخلاف غيره من الكلام. وهناك من زعم ان الوجه في اعجازه هو البلاغة، وهناك من يقول بنظمه الذي تميز به من سائر الكلام، ومذهب من قال: ان وجه اعجازه هو مجموع هذه الامور كلها، فلا قول من هذه الاقاويل الا هو مختص به ().

ولخص وجوه الاعجاز في القران بماحتواه من الخائص وجمعها بالاتي:
الخاصة الاولى: الفصاحة في الفاظه على معنى انها بريئة عن التعقيد والثقل، خفيفة على الالسنه تجري عليها كأنها السلسال دقة وصفاء وعذوبة وحلاوة.
الخاصية الثانية: البلاغة في المعاني بالاضافة الى مضرب كل مثل، ومساقاً كل قصة، وخبر وفي الاوامر والنواهي، وانواع الوعيد، ومحاسن المواعظ وغير ذلك مما اشتملت عليه العلوم القرآنية، فإنها مسوقة على ابلغ سياق.

الخاصية الثالثة: جودة النظم وحسن السياق، فإنك تراه فيما ذكرناه من هذه العلوم منظوماً على اتم نظام واحسنه واكمله، فهذه هي الوجوه في الاعجاز.

وهكذا يرجع العلوي اعجاز القرآن الكريم الى الفصاحة في الالفاظ والبلاغة في المعاني وجودة النظم وحسن السياق، وبهذا خرج العلوي برأيه هذا وخالف الجرجاني الذي يرى ان اعجاز القرآن الكريم بنظمه، فاضاف عيله صفتي الفصاحة والبلاغة.

ويلخص ماجاء في كتاب (التبيان) للزملكاني تقريباً الذي لخص فيه آراء عبد
القاهر اذ يرى انه يجب على الاديب مراعاة ما يقتضيه اللفظ من الحقيقة والمجاز.